المادة: المدارس اللسانية **الأستاذ: فريد زغلامي**

المستوى: السنة الثانية دراسات أدبية

المحاضرة الرابعة: حلقة براغ (المدرسة الوظيفية، المدرسة الفونيمية).

تُعدّ "حلقة براغ" أهم منحى يمثّل الاتجاه الوظيفي في دراسة اللغة، وقد نشأت في أحضان نادي براغ اللساني الذي أنشأه التشيكي (فيلام ماثيسيوس) عام 1926م مع مجموعة من الباحثين المتفقين فكريا، وبدأوا يعقدون مؤتمرات للبحث اللساني إلى أن تفرقوا عند قيام الحرب العالمية الثانية (1938م).

وتشكلت هذه الحلقة اللسانية من قبل بعض اللسانيين الفارين من موسكو مثل: سيرجي كارسفسكي، رومان جاكبسون، نيكولاي تروبتسكوي، وانضم إليها آخرون من خارج روسيا، مثل: جوزيف فاشيك، بوهميل ترنكا...

وتُعدّ هذه المدرسة امتدادا لحلقة موسكو اللغوية؛ لأن العديد من أعضائها المؤسسين هم أعضاء حلقة موسكو الفارين من روسيا بسبب تضييق الحزب الشيوعي عليهم.

وقامت هذه المدرسة على الأصول النظرية التي أرسى دعائمها "دي سوسير"، كما اتخذت من تصور "بودوان دي كورتناي" للفونيم نظرية كاملة للتحليل الفنولوجي، وهو العمل الذي اضطلع به عالمان من أكبر علماء هذه المدرسة، هما: نيكولاي تروبتسكوي، ورومان جاكبسون.

ولم يستغرق تطور النشاط الخصب الذي قامت به المدرسة إلا قرابة عشر سنوات، غير أن أفكارها واصلت ازدهارها في "هارفرد" بالولايات المتحدة الأمريكية التي صارت – بحكم الظروف – وطنا لـ جاكبسون.

ثانيا: أهم المبادئ والأفكار اللغوية لحلقة براغ

1. التفرقة بين النهجين (التزامني والتعاقبي) في دراسة اللغة، وعلى اللغوي أن يهتم بالدرجة الأولى بالمنهج الأول؛ لأن له تأثيره المباشر على الواقع اللغوي الفعلي، مع مساعدة المقارنة التحليلية بين اللغات. كما ينبغي رصد الخصائص اللغوية لكل لغة في مراحل مختلفة من تطورها على أساس تزامني. وأسلم طريقة في اللسانيات أن يبدأ بالمنهج التزامني ثم التاريخي.

2. دراسة نظام اللغة الكلي بمستوياته المختلفة (الصوتية، الصرفية، النحوية، والدلالية) دراسة وظيفية محضة. فقد ركزوا في دراستهم لوظيفة اللغة أيضا على دراسة وظيفة اللغة في الحياة الثقافية ووظيفة اللغة في المجتمع، والوظيفة الجمالية للغة ودورها في الأدب والفن الكلامي. ووظيفة العناصر اللغوية وعلاقاتها التركيبية. فإذا كان "سوسير" ذهب إلى أن اللغة "نظام من العلامات"، فإن مدرسة براغ ترى أن اللغة "نظام من الوظائف، وكل وظيفة نظام من العلامات". وقد وضح "سامبسون" نظرة أصحاب هذه المدرسة إلى اللغة، بقوله: "إن اللغة عبارة عن محرك، وعلى اللساني أن يدرك الوظائف التي تؤديها أجزاؤها المختلفة، وكي تحدد طبيعة جزء معين طبيعة الأجزاء الأخرى".

3. تبني النظرية التركيبية في دراسة اللغة وتحليلها. والمنهج التركيبي (البنيوي) اتجاه في علم اللغة يعنى بتحليل العلاقات بين جزئيات اللغة المنظور إليها كسمة كليّة. وهذه النظرية تبدأ من ملاحظة أن كل عنصر في نظام معين تتحدد صفته وشكله بالنظر إلى كل العناصر الأخرى داخل النظام نفسه، وليس له قيمة على نفسه منفرداً.

4. المنهج المقارن في علم اللغة مطلوب كذلك.

5. لا تتطابق اللغة المنطوقة مع اللغة المكتوبة، ولكل منهما خصائصها، وعلى اللغوي فحص العلاقة بينهما.

6. اهتموا في مجال الأصوات بـ "الفنولوجيا" (علم الأصوات الوظيفي)، ويعني دراسة مجموع الوظائف اللغوية التي يؤديها الصوت. واهتموا في هذا المجال بـ "الفونيم"، ويعرّفه

هذا الاتجاه بأنه "أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التمييز بين المعاني"، مثل: (ق وك) حيث نُميّز من خلالهما بين "قال" و"كال" ، فهذا يساعد في تحديد معنى الكلمة.

والفونيم نوعان: فونيم مقطعي (Segmental) ويشمل كل الصوامت والصوائت. وفونيم فوق مقطعي (Suprasegmental) ويتمثل في كل من الفاصل، والنغم، والنبر وطول الصوت.

7. اللغة مجموع المظهر العقلي والعاطفي للشخصية الإنسانية، وعلى اللغوي أن يبحث العلاقة القائمة بين الصيغ اللغوية الناقلة للأفكار والانفعالات.

8. قدّم "جاكبسون" مخطط الاتصال الذي طوره عن دارة الكلام لدى "دي سوسير" وقدّم ضمنه ستة عناصر متتالية، ولكل عنصر وظيفة يؤديها ضمن الوظيفة العامة للغة (الاتصال):

1. **المرسل (الوظيفة التعبيرية/الانفعالية):** حيث يتجه المرسل إلى إبلاغ معلومات فهو يعبّر أيضا عن مشاعر وعواطف ومواقف إزاء الموضوع الذي يعبر عنه، ويثبّت ذلك في طريقة النطق مثلا، أو في أدوات لغوية تفيد الانفعال (كالتأوه أو التعجب...).

2. **المرسل إليه (الوظيفة الإفهامية):** تظهر هذه الوظيفة إذا كان الهدف من الاتصال التأثير على المتلقي، وتتجسم خير تجسيم في صيغة الدعاء وصيغة الأمر.

3. **المرجع (الوظيفة المرجعية):** إذا كان الاتصال يستهدف المرجع بالذات، فنكون بصدد الحديث عن الوظيفة المرجعية، فاللغة تحيلنا إلى أشياء وموضوعات يتحدث عنها، وتقوم اللغة بوظيفة المرجع في تلك الموضوعات والأحداث المبلّغة (السياسية والرياضية...).

4. **القناة (الوظيفة الاتصالية أو الاتصالية إقامة الاتصال):** إذا تعلق الأمر بالنظر في سلامة القناة أو رغبة المتلقي في إقامة الاتصال أو تقوية الصلة الاجتماعية، وذلك كعبارات التحية والترحيب والمجاملة، أو كقولنا "ألو"، "تسمعني؟"، "أنت معي" في

المكالمات الهاتفية. ولفت انتباه المرسل إليه / السامع / القارئ من تأكيد أو تكرار أو إطناب، وكل ما يرتبط بمراعية عملية الإبلاغ والتأكد من نجاحها.

5. السنن / الشفرة (الوظيفة المعجمية / ما وراء اللغة): ومدارها أن يتأكد أحد طرفي جهاز التخاطب من أنه يستعمل والطرق الآخر النمط اللغوي نفسه، وبالتالي أن التخاطب قائم فعلا على التفاهم والفهم المتكامل، كأن تتخلل الحوار مثل هذه العبارات: ماذا تعني؟ هل أنت تفهم عليّ ما أقول؟ أليس كذلك؟

3. الرسالة (الوظيفة الشعرية / الجمالية): وهي الوظيفة التي تكون فيها الرسالة غاية في ذاتها لا تعبّر إلا عن نفسها فتصبح هي المعنية بالدرس.

وقد جرى البحث في العلاقة بين الرسالة والوظيفة الأدبية إلى بعض المواقف المتباينة، فمذهب بعضهم إلى أن هذه الوظيفة ليست موجودة في الكلام العادي الذي تؤدي فيه اللغة وظيفتها الاجتماعية الأساسية، قائلين إن الوظيفة الأدبية تكون إذ ذاك في الدرجة الصفر، واعترض آخرون بأنه يصعب تحديد نقطة الانطلاق أو المعيار الذي تكون فيه اللغة في درجة الصفر.

وقد ذهب "جاكبسون" حسما لهذا النزاع إلى أن كل رسالة مهما كانت غايتها تتضمن وظيفة أدبية، بقي أن درجة هذه الوظيفة تختلف من نص لأخر.

ثالثا: الانتقادات التي وجهت لحلقة براغ

- الاعتماد على التحليل التزامني والبعد التاريخي معا يمثّل تناقضا منهجيا داخليا، فمحاولة المزج بينهما يُربك معايير الصرامة الوصفية، ويفتح الباب أمام التفسيرات التخمينية.
- تعاملت مع اللغة كنظام داخلي من العلاقات؛ مما يُتجاهل معه الاستخدام الحقيقي اليومي للغة.

- الحد من البعد الاجتماعي أو السياقي الكامل، فالنهج الوظيفي لا يأخذ في الاعتبار كافة التأثيرات الثقافية أو السياقات الاجتماعية المعقدة.
- أخذ بعض اللسانيين على مدرسة براغ اهتمامها الشديد بالنصوص الأدبية؛ مما أدى إلى إخضاع اللسانيات الصارمة إلى الاهتمامات النقدية والجمالية؛ مما جعلها تحلق في فضاءات التأويل الأدبي.

مراجع المحاضرة:

- مليكا إفيتش ،اتجاهات البحث اللساني ، ترجمة سعد عبد العزيز ، مصلوح ووفاء كامل فايد .
- خليفة بوجادي، اللسانيات النظرية.
- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور.
- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة.